آخر، له زمان ومكان ، فهو قد نشأ في ظروف معينة ومراحل معينة وسار مع حركة الحياة والمجتمعات ، ففي المجتمع البدائي حيث كان الانسان خشنا و معارفه بسيطة انعكاسا لادوات انتاجه البسيطة التي كان يستخدمها في الصيد وجمع الثمار ، انتشرت الفيتشية والطوطمية ، اي عبادة اشياء مادية محددة ، ولكن مع اتساع وتشعب الحياة البدوية وظهور البدايات الزراعية، وما صاحبها من نمو في المعارف والخبرة ، انتقل الانسان لعبادة الاوثان التي كان ينحتها كتجسيد مادي لرمز يؤمن به، ومع تواصل الحياة الاجتماعية وتطور قوى الانتاج من آلة وانسان ومعالجة المعادن ، وما استوجبه ذلك من انهاء حياة الترحال وتكوين سلطة سياسية لتنظيم شؤون الناس ، تضاعفت المقدرة الذهنية لدى الانسان سيما وان دماغه ككتلة مادية قد ارتقى بفعل تناوله اللحوم وطهيها ، فغدا قادرا على التجريد بصورة واضحة وبالتالي آمن بالتعددية التي كانت مقدمة للايمان بالالوهية الوحدانية ، وهذا السيناريو مر فيه الانسان بصرف النظر عن علمية أو عدم علمية هذا السيناريو ، فما يقرر حقائق الحياة هو حقائق الحياة ذاتها وليس رغبة ووعي الانسان ، ذلك ان الكرة الارضية قديمة وتتراوح بين ٣-٤ مليارات سنة ، فيما عمر الشمس حوالي ٥ مليارات ، وشمسنا هذه حقيرة قياسا بشموس أخرى عملاقة في مجرتنا ومجرات اخرى .... أي ان العالم موجود وسبق الانسان ومعتقداته بزمن طويل ولا يتأثر بالتالي بصوابية أو خطأ هذه المعتقدات ، وهذا ينطبق ايضا على العالم الروحي ، اي ليس التصور الذي يؤمن به الانسان هو الذي يحدد حقائق الكون ، بل أن وعيه يكون صائبا بقدر تمثله واستيعابه لحقائق الكون ، ولهذا وجدنا تبدلات في التصورات والمعتقدات ، لا ترقى بداهة الى صنع حقائق الكون بل تحاول اكتشافها وحسب .

وهذه العمليه استمرت بعد التوحيدية ، وسوف تستمر الى الأبد ايضا ، اذ لن يكف عقل البشرية عن التفكير والاجتهاد وفحص مسلماته. ان الواقع الاجتماعي المتحرك ، أي الوضع الاقتصادي والسياسي والثقافي و و .. و .. يخلق حركة في الفكر والوعي الاجتماعي عن هذا الواقع وبالتالي فعلا فيه ، مثلما ان اتساع الكون وصيرورته وقوانينه هي من التشعب والمدى بحيث لا يلم الانسان منها سوى بالنذر اليسير .